

- ١٩ -

جيداً ، ويذكر مثلاً لذلك لإجادة وصل النسيب بالمدح . ثم هذا نص آخر قد يدل من يقرعون متسرعين على أن بعض هؤلاء النقاد قد فهم معنى وحدة القصيدة الفنية او العضوية .

يقول ابن طباطبا : « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره . . . فاذا قدم بيت على بيت دخله التحلل ، كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها . . ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً . . حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً . لا تناقض في معانيها ، ولا في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها . »
ولكن نفس المؤلف لا يلبث أن يقول :

« ويسلك (الشاعر) منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم ، وتصرفهم في مكاتباتهم ، فإن للشعر فصولاً كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه — على تصرفه في فنونه — صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستمache ، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفياق والنوق . . بالطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلاً به وممزجاً معه . وفي هذا النص يرى ابن طباطبا أن مجرد وصل أجزاء القصيدة — على نظامها الماثور ، في جمعها بين الغزل والمدح ، أو وصف الديار والآثار والنوق — وحدة لها ، فلا يكون المعنى الثاني منفصلاً عما قبله ، متى تخلص الشاعر إليه تخلصاً حسناً ، وإن كان في واقع الأمر مغايراً للمعاني التي سبقته . . ولا مبرر لجمعها معاً إلا نظام القصيدة التقليدي .

ومما سبق يتبين أن عمود الشعر لم تفهم فيه الوحدة إلا على أنها وصل أجزاء القصيدة القديمة بعضها ببعض . فلم يؤثر هذا الإدراك شيئاً في بناء القصيدة . . نعم قد ترك بعض الشعراء البكاء على الأطلال ووصف الإبل ، ولكنهم استبدلوا بهما وصف الخمر والقصور والمطايا الأخر ، فكان مبلغ جهد النقاد هو الدعوة إلى تقليد الأقدمين أو محاذاتهم . . وكان اعتمادهم على عمود الشعر في معانيه السابقة أبعد ما يكون من التجديد الحق الشامل . كما كان حكمهم على الشعراء المجددين باسم عمود الشعر قاسياً مضللاً في أكثر الأحيان .